الشاعر/ محمد أحمد الشامي:

النقد الأدبي ذبحته الحداثة..!!

▪ الشاعر/ محمد أحمد الشامي .. أحد الشعراء الشباب الذين امتلكوا ناصية القصيدة بجدارة، واستطاعوا أن يحلّقوا في فضاء الشعر بإبهار واقتدار لفت إليه الأنظار، وجعل الكثير من النقّاد والشعراء يتوقعون له مكانة متميزة في خارطة الشعر، وذلك في المستقبل القريب، نظراً لموهبته الشعرية الأصيلة، التي كانت جسره الوحيد للعبور إلى الساحة الثقافية..

إن شاعرنا الشاب يعد من الشعراء الشباب القليلين الذين تمسكوا بكتابة القصيدة العمودية التي تعبِّر عن ملامحه الشعرية وإبداعه المتألق والواعد بالكثير..

مع العلم بأن شاعرنا كان الشاعر اليمني الوحيد الذي اختيرت إحدى قصائده ونشرت مع قصائد لشعراء عرب في كتاب صدر مؤخراً عن مؤسسة البابطين بالكويت .. ومع الشاعر/ محمد أحمد الشامي كان لنا الحوار التالي:

▪ محمد أحمد الشامي

لقاء/ محمد القعود

• قصائدي انعكاس لمعاناتي!!
• الحداثة الشعرية في الرؤية وليست في الشكل!
• المؤسسات الثقافية لاحراك لها!!
• النقد الأدبي لاوجود له في بلادنا .. وبعض الكتابات النقدية مجاملات

● كيف بدأت مغازلة القصيدة .. أهناك مؤثرات دعتك كي تتفيأ تحت ظلالها..؟

- لا يستطيع الشاعر أن يحدد بداياته مع القصيدة لأن هذه البداية تمثل الميلاد الثاني للشاعر الذي يبدأ بالنشأة والاحساس بماحوله والتعلم ثم التمرس والتدرب حتى يتمكن من الوصول الى ذروة الاتقان والابداع، كذلك ميلاد القصيدة لديه، فهو قد يستطيع تحديد اليوم الذي ولدت فيه القصيدة، لكنه يجهل لماذا؟ أو أين؟ ومتى؟ وكيف جاءت هذه الصورة أو تلك؟ لأنها ومضة كومضة برق أو فلاش تصوير. وما أشبه بداية الشاعر في مغازلته للشعر، أو مغازلة الشعر له بمغازلة الحسن والجمال لقلوب المراهقين.

وأتذكر أنني أول مابدأت أدرك مايحدث حولي في الحياة كنت يومها مفرط الاحساس لدرجة انني كنت أتألم لقطف وردة أو ضرب كلب.. الخ، وكانت هذه المرحلة لا تخلو من شذرات شعرية تلاشى فيها أو تماهى منها التفريق أو التمييز بين العامية والفصحى، والوزن العروضي والقواعد النحوية.

أما بدايتي الحقيقية الجادة فكانت في عام ٢٠٠٠م وذلك بعد أن شجعني والدي الأستاذ والشاعر الكبير/ حسن عبدالله الشرفي على النشر والاستمرار في الكتابة لذا فهو يعتبر أول من أخذ بيدي وكان - ومازال فضله عليّ كبيراً ولن أستطيع نسيانه مدى الحياة، ومن هنا كانت البداية.

أما بالنسبة للمؤثرات التي جعلتني أتفيأ تحت ظلال القصيدة فطبيعة الحياة في المجتمع اليمني وطبيعة الظروف أيضاً هي أكبر مؤثر يجعل الموهبة الابداعية تحاول التعبير عنها بشتى الطرق، وهناك الكثير من المبدعين الذين أثرت عليهم الأمثال والأقاصيص أو الحكايات الشعبية. أما أنا فقد نشأت في قرية مغلقة لا تعرف معنى الثقافة حتى الآن.

●لماذا اتجهت الى الشعر، ولم تتجه الى أي صنف أدبي آخر، ولماذا الى القصيدة العمودية بالذات؟

- يذكرني هذا السؤال بسؤال وجهه مصطفى ناصر الى الأديبة السورية/ غادة السمان حيث سألها قائلاً: ماذا تريدين من الكتابة؟ فأجابته غادة: وهل يسأل الانسان قدره عمّ يريده منه؟ هل تسأل قلبك لماذا ينبض؟ وهل تسأل رئتك لماذا تتنفس؟ وهل تسأل النورس لماذا يطير فوق البحار؟ وهل تسأل السنونو لماذا يهاجر؟ وهل تسأل العنفوان لماذا ينبض بالحب؟ وهل.. وهل.. وهل..؟!

واجابتي دون شك ستكون عبارة عن تساؤلات مشابهة.. لأن الابداع هو في الأصل ميول حسي يتولد مع الانسان المبدع وينشأ ويتنامى بنمو ونشأة الانسان، أما الاجابة على القسم الثاني من السؤال فيمكن القول بأنني أكتب في كل الأشكال الشعرية إلا أن القصيدة العمودية كانت الصهوة التي انطلقت عليها كما كانت الواحة التي ترعرعت في أحضانها، لذلك هي أحب الأشكال إليّ، وربما لأنني وجدت نفسي في هذا الشكل أو أن هذا الشكل وجد فيّ نفسه وأنا كما أسلفت أكتب كل الأشكال الشعرية لكنني أجد نفسي في الشكل العمودي أكثر من غيره، وهذا لا يعني انني لا أملك الثقافة اللازمة التي تمكنني من ممارسة الأشكال الشعرية الأخرى كما يعلل بعض الزملاء ابتعادهم عن القصيدة العمودية الى القصيدة الحديثة بأن الشكل الأخير أكثر قرباً من ثقافتهم ونظرتهم للحياة والعالم والناس، ويؤكدون هذا التعليل بأنهم وجدوا كل شيء قد قيل في اطار القصيدة العمودية وأن المواضيع الجديدة تحتاج الى أشكال جديدة وهذا غير صحيح، فكل جديد يمكن وضعه في الشكل العمودي الذي هو أساس وجود الشعر لأن الحداثة ليست في الشكل وانما في الرؤية، وهذا في وجهة نظري هو عجز حقيقي للهروب من الأساس، وكل شيء لا أساس له لايمكن أن يستقيم بناؤه أو يستمر، والشكل العمودي هو أساس الشعر فاذا لم يبدأ الشاعر من الشكل العمودي ويتقنه فإنه لن يستطيع أن يكتب الأنماط الشعرية الأخرى، ولن يتمكن من اجادتها إلا الشاعر الذي له أساس، وأكبر دليل على ذلك الرواد من أمثال نازك الملائكة وبدر شاكر السياب ونزار قباني وأدونيس ومحمود درويش وغيرهم حيث بدأوا من الشكل العمودي ثم انطلقوا الى الأشكال الأخرى فاستطاعوا بذلك الاتقان والتجديد والاجادة والخروج بنظرة واضحة جلية أفادتهم في تحديد الاتجاه والطريق الذي يمضون فيه.

● من خلال قصائدك المنشورة يلاحظ المتتبع أن هناك نكهة بردونية.. فبماذا تعلق على ذلك؟

- هناك عدد من الكتّاب والنقاد الذين صنفوا الشعر العربي الى ثلاث مدارس هي: مدرسة الشعر القديم، ومدرسة الشعر الحديث، والمدرسة البردونية، وهذا فخر لي، بل ولكل اليمن بأن يصبح البردوني مدرسة شعرية شامخة بشهادة الآخرين، ولا ضير أن تحمل قصائدي نكهة بردونية فإنه شرف لها أن تحمل هذه النكهة ومصدر فخر واعتزاز كما انني لست وحدي فهناك الكثير من الزملاء الذين حملت قصائدهم نكهات بردونية وليس نكهة واحدة هذا من جهة، ومن جهة أخرى نجد أن الكثير من الابداع الحقيقي يبدأ بالتأثر بالرواد والأفذاذ الذين بدأوا ابداعاتهم متأثرين بسابقيهم أو مجايليهم حتى تمكنوا من خلق رؤية أو نكهة خاصة بهم، وبهذا يتولد من القديم الحديث ومن الجديد الأجد والأفضل.

عنفوان وتفرد

● ولماذا الاصرار على كتابة القصيدة العمودية في ظل الاتجاه الكبير لكتابة القصيدة الحديثة؟

- قل انه التحدي، والسعي الدؤوب الذي يحاول اثبات عدم موت القصيدة العمودية كما يدعي البعض، ففي الوقت الذي تحارب في القصيدة العمودية أجد نفسي واقفاً الى جانبها مناصراً، ومثبتاً أنها مازالت وستظل مليئة بالعنفوان ونابضة بالجديد المتفرد، والأجد الممتع الذي تستحسنه الذوائق، وفي قالبها المعتاد غير آبهة بالعواصف والزوابع التي تحاول زعزعتها رغم جذورها المتعمقة في بساتين النفوس، ولكي أثبت أيضاً أن الحداثة هي حداثة المضمون وليس حداثة الشكل، وبمعنى آخر أكثر وضوحاً أنا أدخل قصور الشعر الواسعة الآفاق من البوابة التي تخلى عن ولوجها الكثير، وامتنع عن دخولها الكثير والكثير أيضاً. محلقاً في فضاءاتها كما شئت أحياناً وحيناً كما شاءت القصيدة نفسها، وليس كما يشاء الآخرون.

ثقة

● في زحام الساحة بالشعراء المتشاعرين كيف استطعت أن تخطو الى الشعر بملامحه المميزة، ومخالفة لأقرانك ومجايليك؟

- يقولون طريق الألف ميل يبدأ بخطوة واحدة، وأنا مؤمن بهذا القول الى الدرجة التي تجعلني دائماً أوقن بأنني لم أقطع من مشواري الطويل المملوء بالوعورة والمتاعب إلا خطوة واحدة فقط، خاصة اذا كان هذا المشوار مكتظاً بالمنافسين. فالشعر هو النجاح، والنجاح الحقيقي هو أشبه بجوهرة ثمينة ونادرة على قمة جبل شاهق، فمن سعى وخاطر بنفسه متسلقاً الصخور غير مبال بالعثرات التي تعوقه عن مبتغاه بين الفينة والأخرى للوصول الى تلك الجوهرة، والنجاح الكبير لن يتحقق إلا بالعزم والتصميم على النجاح والارادة التي لا تنثني، ومن هنا أنا أخطو بثقة كبيرة الى تحقيق الكثير والكثير رغم قسوة الظروف التي تحاول تنكيصي عما أسمو اليه بالعوائق وما شابهها، لكن ذلك يزيدني اندفاعاً لا انتكاصاً.

نقد بلا مجاملات

● النقد الى أي مدى استطاع أن يدفع بك الى فضاء القصيدة المخفورة بالألق والابداع؟ والنقد ماذا أعطى للأدباء الشباب؟ وماذا تسمي المنشور من الكتابات النقدية؟!

- أتمنى وأنا أجيب على هذا السؤال أن أحدد المدى الذي دفع بي النقد من خلاله الى فضاء القصيدة المخفورة بالألق كما نعتّها أنت لأنني لم أجد المدى الذي أجد فيه ذاتي، وذلك لسبب واحد هو عدم وجود النقد الحقيقي البناء، الخالي من المجاملات والانحيازات، النقد الذي يقف بطريقة محايدة مانحاً كل نص ابداعي حقه ومستحقه عن طريق تحليله وتقويمه بإبراز عيوبه ومساوئه واظهار جماليات القيمة، لأن النقد هو أشبه بالمرآة التي نضع أمامها ابداعاتنا فنرى فيها سلبيات ابداعاتنا وايجابياتها، وما أحوجنا في الوقت الراهن خاصة نحن الشباب الى هذا النقد الذي لم نجده، لأنه بات مذبوحاً على كف الحداثة التي أثقلت كاهله بالمصطلحات المتعددة والمدارس المتوالدة، ولهذا ترانا نحن الشباب أشبه بالعميان الذين يتخبطون في فراغ لا انتهاء له، ليس هناك من يقودنا ويوجهنا، فالنقد هو الموجه والقائد الذي يمكن أن يوجهنا يميناً أو شمالاً ليساعدنا على سلوك الطريق الصحيح الذي من خلاله نستطيع الخروج من متاهات الفراغ. أما المنشور الآن من الكتابات فهي في نظري لا ترقى الى مستوى النقد الخالص الجاد باستثناء النادر منها، ويمكننا أن نسمي هذه الكتابات محاولات تنقصها الجرأة والصراحة والثقافة الواسعة والذوق السليم الذي لم تفسده الحداثة.. بالاضافة الى عدم الانغماس في المصطلحات النقدية الحديثة التي تكاثرت الى حد بعيد، وهذا لايعني أنني أقف ضد الأشكال الجديدة أو ضد الحداثة أو ضد مابعدها، لأن المعركة سوف تستمر بين القصيدة العمودية وغيرها من الأشكال دون انقطاع. وهذه عادة دأبت طباع الناس عليها حيث يصفون كل ماض بأنه قديم، وأن مايأتي اليوم هو الجديد، وفي المستقبل سيصبح جديد اليوم دون شك قديماً، وهكذا.

● الملاحظ أن مسارك الشعري الذي ابتدأ منذ فترة وجيزة لم ينجذب الى التيارات الشعرية بمختلف مسمياتها.. وكيف تراها؟

- الشعر في نظري سيظل هو الشعر في كل زمان ومكان مهما اختلفت أشكاله وأغراضه ومدارسه، فكل ابداع يهز الوجدان ويؤثر في نفوس الناس هو شعر.

أما بالنسبة للتيارات الشعرية والمدارس فأنا لا أؤمن بها خشية التيهان في كمها المتزايد النمو، فعند قراءتي لأي نص شعري لايهمني تياره المنسوب اليه، لكن مايهمني هو محتواه وجودته.

لهذا لا غرابة أن تجد مساري الشعري يمضي في طريق موحد بعد أن تكاثرت أمامه الطرقات، لأن الطرق كلها تؤدي الى هدف واحد، وعندما يدأب الانسان على السير في طريق واحد في وجه النهار فإنه باستطاعته السير فيه في غسق الظلام لأنه تعوّد عليه وصار يعرف أين تقع الحفر والمطبات والصخور التي تعترض طريقه وبإمكانه أن يتجنبها دون الحاجة الى شعاع من ضوء.

● المؤسسات الثقافية ماذا أعطت المبدعين وخاصة المبدعين من الشباب؟

- هناك الكثير من المؤسسات الثقافية الحكومية والخاصة التي قام بعضها بفتح أبوابها للكثير من المبدعين الشباب وقدمت لهم الكثير من المعونات تطبع ابداعاتهم وتشجيعهم واقامة الأماسي والصباحيات لهم، ومن تلك المؤسسات الخاصة مؤسسة السعيد ومؤسسة الابداع، والعفيف وباكثير وغيرها.

أما المؤسسات الثقافية الحكومية فأغلبها لا حراك لها باستثناء القليل جداً منها كالهيئة العامة للكتاب التي استطاعت منذ فترة زمنية أن تشجع الكثير من المبدعين الشباب عن طريق طباعة ابداعاتهم وتزويدهم بالكتب التي يحتاجون اليها ومازالت شامخة محفزة للكثير من المبدعين.

لكن الأمر الذي يؤسفني ويؤسف الكثير من زملائي المبدعين هو عدم وجود تعاون مستمر بين تلك المؤسسات الثقافية وغياب التنسيق والتخطيط فيما بينها لتشكل صفاً واحداً أهدافه واضحة حتى يكمّل بعضها بعضاً وتستفيد هذه من تلك، خصوصاً ونحن مقدمون على صنعاء عاصمة للثقافة العربية عام ٢٠٠٤م.

● هناك الكثير من الأصوات الشابة الشعرية أصدرت أعمالها في الآونة الأخيرة.. فلماذا لا نرى لك اصدارا شعريا مع انك وبشهادة الكثير لفت الأنظار اليك؟!

- تمكنت من تجهيز ديوان واحد قام والدي الأستاذ الشاعر/ حسن عبدالله الشرفي بإعداده على نفقته الخاصة وهو معروف لن أنساه له أبداً. وقد قدمت هذا الديوان الذي يحمل اسم «نزهة فوق أرصفة المساء» وهو يعتبر الاصدار الأول، قدمته للأخ الأستاذ/ محمد حسين هيثم ليتم طباعته على نفقة اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين ضمن الاصدارات التي يطبعها في مركز عبادي، ولي مجموعات أخرى يعوزها الاعداد والتجهيز بسبب الظروف وضيق الأوقات ومنها ديوان الصداقة، وديوان عولمة لسقف الغرفة المهجورة، وتراتيل الخرام، والبكاء قبل الدموع وغيرها.

وصدقني ان معظم - وليس بعض - قصائدي غير المنشورة لم أتمكن من تبييض مسوداتها وهي تمثل نسبة ٨٠٪ مما أعددت ونشرت لعدم وجود الوقت الكافي لاعدادهن وتجهيزهن.. وربما الوقت لم يحن بعد لذلك.

فرحة وشجن

● شاركت في مسابقة الكويت التي أقامتها مؤسسة البابطين في مجال الشعر وكنت ضمن الشعراء الذين شاركوا وجمعت قصائدهم وصدرت في كتاب ماذا كان وقع ذلك عليك؟ وكيف ترى وقع ذلك على الشباب العربي؟

- نعم شاركت، ولم أكن أتوقع بأن قصيدتي هي الوحيدة التي سيتم اختيارها من اليمن لأنني لا أعرف المستوى الذي وصلت اليه بسبب غياب النقد كما أسلفنا وكانت فرحتي كبيرة بذلك، وفخر لي ولكل اليمن.

لكن صدقني يا أستاذي انه بقدر الفرحة التي امتلكتني كان هناك شجن وحزن كبير يفوق حجم تلك الفرحة بسبب تلك العبارة التي ذُيلت أسفل القصيدة المنشورة «الأديم استقر» وكان محتوى تلك العبارة هو «محمد أحمد الشامي شاعر من اليمن لم نعثر له على ترجمة ولم نتمكن من الاتصال به» هذه هي العبارة التي تعتبر وصمة عار في جبين المؤسسات المسئولة عن الثقافات والابداع وكذلك بالنسبة للمثقفين والشعراء والأدباء الأساتذة، فالواجب يفرض عليهم التعريف بنا، والبحث عن حقوقنا وليس العكس.

أما بالنسبة لوقع هذا الحدث على الشباب العربي فإنه من دون ريب سيكون حافزاً قوياً ودافعاً مجلجلاً لهم لتحقيق المزيد من الابداع المتفرد والذي يستحق المنافسة وتحفيزهم نحو الأفضل من التقدم المزدهر والمستقبل المشرق.

● مررت بظروف شتى.. كيف كان انعكاسها على ابداعك؟ وعلى صياغة قصيدتك ولغتها؟

- أخالف الذين يقولون أن المعاناة لا تولّد الابداع، فالمعاناة تولّد الابداع لأنها المثيرة، ولكل مثير استجابة فالابداع النابع من المعاناة أكثر تأثيراً واثارة، واجادة وشهرة لدى الكثير من الناس بعكس المفتعل الذي لا ينتج عن معاناة.

وأتذكر أنني قبل مدة كنت أتحدث مع صديق عزيز حول هذا الموضوع، وقمنا نعدد الأعمال الابداعية المشهورة، فوجدنا الشر أكثر اجادة وتأثيراً وشهرة من الخير، وكذلك الحزن واليأس أكثر من الفرح والسرور، فهناك أزهار الشر، والأرض اليباب والكثير الكثير الذي يدل على ذلك. وبما أن حياتي مليئة بالمعاناة، فإن هذه المعاناة تنعكس بشكل واضح على قصائدي، والتي تبدو جلية في مفرداتها.

● المفردة الشعرية لديك تطل من نافذة المعاناة والألم والتشاؤم والشقاء.. فما سر ذلك؟

- المفردة الشعرية تتأثر بالبيئة التي يعيش فيها الشاعر وتمتزج بحياته وثقافاته المختلفة هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى المفردة الشعرية في قصائدي تنبع من حقائق الواقع وعندما يكون التعبير الشعري مترجماً للأحاسيس والمشاعر الصادقة يكون وقعه على النفوس جميلاً ومؤثراً وقوياً مما سواه، لأن الشعور أو الاحساس بالأحزان والآلام أقوى وأشد من الاحساس بالفرح والرخاء والانبساط، وماكان من القلب يصل الى القلوب، وماكان من طرف اللسان فإنه لا يتعدى الآذان، وبقدر المعاناة يكون الابداع وغزارة الانتاج الابداعي.

غزارة انتاج

● كيف تفسر غزارة انتاجك في القصائد؟ ألا يؤثر ذلك على اجادتك للقصيدة؟ وهل بالضرورة أن يكون الشاعر صدى للأحداث، وهناك من قرأ لك وتابع لك ويرى بأنك تسعى الى افتعال القصيدة؟!

- ليست كل قصائد أي شاعر كان تحمل نفس الجودة والجماليات الفنية المختلفة، وغزارة الانتاج الشعري لا يستطيع أن يتحكم الشاعر فيها رغم ادراكه ومعرفته بأن ذلك يؤثر بشكل سلبي على بعض قصائده، وليس بالضرورة أن يكون الشاعر صدى للأحداث، لأن الأحداث كثيرة جداً، فقد يكون هناك ألف حدث في الساعة الواحدة، وبالتالي يقف الشاعر عاجزاً في التعبير عن هذا الكم الهائل من الأحداث التي بدأت تتزايد من يوم الى يوم في ظل الانفجار المعلوماتي والتكنولوجي الهائل الذي يحدث اليوم.

أما بالنسبة للذين يرون بأنني أسعى الى افتعال القصيدة فلكل وجهة نظره، لأنني واثق من قصائدي لوجود جمهورها الكافي من القراء والمعجبين ومن جهة أخرى فالقصيدة المفتعلة تعتبر آنية لا تعيش طويلاً.

وبما أن المعاناة تولّد الابداع، فأنا أعيش في معاناة دائمة، وبالتالي يجعلني هذا العيش أحيا في فضاء شعري مستمر كوسيلة للتخفيف من التفاعلات التي تثوي بداخلي، كما انني لست الوحيد الذي انتاجه الشعري غزير فهناك الكثير من الشعراء القدماء والمعاصرين الذين اتسموا بهذه السمة، وهي من وجهة نظري حالة تكون عند بعض الشعراء الذين يمتلكون كمية كبيرة من الأحاسيس وبمعنى آخر أن أحاسيسهم مرهفة الى الدرجة التي تجعلهم يتأثرون مع كل ظرف، وبكل مثير مهما كان حجمه، فيتعايشون مع أكثر من تجربة شعرية في الوقت الواحد.

والقصيدة لا تفتعل، ولكنها هي نفسها التي تسعى الى افتعال المشاعر لدى المبدع الحساس ومن ثم تفجيرها في شكل أحاسيس تصنع القصيدة من تلك الأحاسيس وجوهها، وتصيغ قوامها فتخرج الى القارئ كعروس تتهادى في ثياب زفافها.

● كيف تطمح الى ايجاد قصيدة عمودية تحمل ملامحك وصورة جديدة مخالفة للسائد من الشعر العمودي في ابداع الشباب؟

- مازلت أسعى الى إيجاد القصيدة العمودية التي أحلم بها، والتي لم تولد بعد رغم وجود الكثير من المحاولات الشعرية المخالفة للسائد من الشعر العمودي المعروف، لكنني مازلت محبطاً ومتوجساً من ابدائها أو إخراجها للنشر، لأنها خارجة عن البحور الشعرية المعروفة رغم أنها تحمل الشكل العمودي لكن بتراكيب مختلفة، جاءت أبياتها بطريقة عفوية غير متعمدة إلا أنني أخشى من نشرها لافتقاري أو افتقادي الى النقد الصادق الذي أتمنى وجوده، إما لتشجيعي أو توقيفي عن الاستمرار. كما أخشى أيضاً عدم تقبل بعض القراء الذين تعودت ذوائقهم على أوزان البحور المعروفة، وكذلك معارضة أصحاب الأشكال الشعرية المختلفة الذين يمقتون التجديد، وأظن أن الوقت المناسب لم يحن بعد لإخراجها، لكنه سوف يأتي اليوم الذي ترى فيه الضياء والسطوع كتجربة جديدة تضيف الى الأوزان الخليلية أشياء جديدة.